

العلماء في العهد العثماني بالجزائر

أ د حميدي ابوبكر الصديق

قسم التاريخ - المسيلة

مقدمة

يعتبر العلماء هم الفئة المثقفة التي تعلم الناس ، وتسعى في شؤونهم الاجتماعية والفتوى والتي تحضي بالاحترام من قبل المجتمع ولذلك تخشى السلطة تأثيرهم على السكان فتسعى إلى تقريبهم ،وهي ظاهرة عامة في العالم الإسلامي ، ويطلق على العالم من تفقه في الدين وبلغ مكانة متميزة من الفقه ومختلف العلوم الدينية واللغوية وهو ما يؤهلهم لشغل وظائف القضاء ومجالس القضاء ، والإشراف على المراكز الدينية والتعليمية ، ورئاسة الطرق الصوفية ونقابة الأشراف ، والإفتاء....وشملت أيضا حتى الخطباء والوعاظ والمدرسون ، والمؤدبون ، وخدام الأضرحة والزوايا والمساجد

مكانة العلماء

كلما تبحر العالم في مزيد من العلوم زادت مكانته ، ولقب بالعالم النحرير ، والبحر الغزير وبحر العلوم والعالم الهمام ، وغيرها من الأوصاف .وكان كبار العلماء يشكلون المجلس العلمي الذي يشكل بمثابة محكمة الاستئناف " ديوان المظالم " الذي يحضره الباشا نفسه .ويتكون من (مفتي وقاضي من كلا المذهبين وموظفين) وكان يعقد كل خميس بالعاصمة بالجامع الكبير وبالجمعة بقسنطينة .

وفي الغالب كان العلماء هم الوسطاء بين الرعية والسلطة ، وكان لعلماء المدينة مكانة متميزة وهم الذين يحضون بالمناصب والقضاء والإفتاء مقارنة بأهل الريف . أما في الريف في الغالب يكون من أهل العلم والصلاح والأسر الدينية العريقة التي تهتم بالتدريس وحل الخصومات . وكثيرا ما توارثت العائلات المكانة في التدريس والإفتاء (الأبناء أو الإخوة) .

ونظرا لقرب هذه الفئة من السكان في حياتهم اليومية ووعظهم وإرشادهم للناس والاحترام الذي يحوزونه فأحيانا يقفون في وجه الانحراف السياسي أو الضريبي فكانت تضعهم السلطة تحت المراقبة .

وقد قسم الدكتور سعد الله العلماء في العهد العثماني بالجزائر إلى عدة أصناف من الناحية العلمية :

1 : علماء موظفون وفقهاء مستقلين

2 : علماء متصوفة

3 : المتصوفة الذين يدعون العلم والولاية

أما من الناحية الوظيفية :

1 : الفئة الموظفة بشكل رسمي : القضاة والمفتون والمدرسون الرسميون .

2 : رجال الزوايا والتصوف وممن لهم علم من نقباء الأشراف¹ .

حركة العلماء :

¹ - حظيت هذه الفئة بالاحترام والتبجيل من قبل الحكام، وكانت منتشرة في المدن وتعالج القضايا الطارئة مع شيخ البلد .

دأب العلماء على الحركة المستمرة داخل البلاد وخارجها ، ففي داخل البلاد كانت هذه الفئة تنتقل بين الحواضر الكبرى للتدريس أو أخذ الإجازات العلمية أو البحث عن الكتب ، أما خارج البلاد فالحركة كانت كبيرة في العهد العثماني وخاصة نحو المغرب والمشرق العربي وأرجع بعض المؤرخين سبب ذلك إلى ضعف التعليم وتدهور الحركة العلمية وقلة الحواضر العلمية على غرار القرويين والزيتونة والأزهر. وكذلك انشغال الأتراك بالجهاد البحري وصد الهجمات .

نشاط العلماء

تتنوع بين التدريس ، والإفتاء والقضاء والخطابة والإمامة ومهمة الكاتب ، والترجمان والناظر ، . أما في الريف فجمع بين التدريس والإمامة وإدارة الزاوية وحل النزاعات

مصنفات العلماء

كانت حركة التأليف بطيئة بحكم طبيعة التعليم والمستوى التعليمي في العهد العثماني وقلة الحواضر الكبرى باستثناء تلمسان وبجاية وقسنطينة ومازونة ، ومع هذا ظهر بعض العلماء في مجال الشعر والنثر وبعض العلوم

— ابن ميمون (التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية)

— أحمد بن يحيى الونشريسي (834 هـ - 914 هـ / 1508م) " المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقيا و الأندلس و المغرب "

(إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك، و غنية المعاصر، و التالي في شرح وثائق القشتالي، والفائق في أحكام الوثائق)

- أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي المتوفى عام 909 هـ / 1504م ترك مؤلفات قدرت بأكثر من أربعة عشر مؤلفا، أغلبها في الفقه و بعض ها في اللغة و مواضيع الدعوى و الإصلاح.⁽²⁾

² رايح بونار: مصباح الأرواح في أصول الفلاح، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1968، ص 22.

– أبو راس الناصر المعسكري له مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم

– ابن الفكون

– محمد ابن العنابي